الفصل الثاني

الحقبة العربية الإسلامية
الزراعة خلال الحقبة العربية الإسلامية في العراق

دخل العرب المسلمون إلى العراق مصلحين، شأنهم في أماكن أخرى فتحوها، لذا فقد اهتموا بأمور الإدارة والزراعة والصناعة بشكل لا يحتاج إلى تعليق. ومن الجلي أن مجهودات الأقدمين كانت منطلقاً يضاف إلى هِمَّة العرب والمسلمين في عمليات الإصلاح المختلفة. وتدخل ضمن تلك الحقبة العربية قبل الإسلام إذ أشرف العرب على معطيات إيجابية في حقول الزراعة. فمدينة "الحضر" مثلاً كانت تسيطر على أرجاء من العراق شملت سنجار والخابور شمالاً، وإلى مناطق شمال بغداد. ومن الواضح أن هذه الأماكن كانت تكتنفها الحقول والبساتين، وقد أشارت إليها سابقاً المصادر الآشورية، أما مدينة "الحيرة" فقد نشأت وسط مناطق مليئة بالبساتين.

قبل أن نوغل في عرض شؤون البستنة في العراق لا بد من الإشارة إلى تقسيم الأقدمين للأرض إلى سبعة أقاليم. ومن العصر البابلي الحديث وصلتنا خريطة مثلث الأرض مستديرة وكان موقع مدينة بابل في مركزها. وحسب هذا التصور رسمت خرائط أخرى في الفترات التالية. ولنأتِ على سبيل المثال إلى ما قاله الحافظ البغدادي (ت- ٤٦٣ هـ):

"ذكر علماء الأوائل أن أقاليم الأرض سبعة، وإن الهند رسمتها فجعلت صفة الأقاليم كأنَّها حلقة مستديرة تكتنفها ست دوائر على هذه الصفة المحدقة بالدائرة الوسطى هي إقليم بابل، والدوائر الست المحدقة بالدائرة الوسطى. فالإقليم الأول منها إقليم بلاد الهند، والإقليم الثاني إقليم الحجاز، والإقليم الثالث إقليم مصر، والإقليم الرابع إقليم بابل وهو الممثل بالدائرة الوسطى التي اكتنفتها سائر الدوائر، وهو أوسط

الأقاليم وأعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرّة الدنيا"[1].

كان لتقسيم الأرض إلى أقاليم أهمية كبيرة في تصنيف النباتات حسب بيئتها، فلو اتينا إلى كتاب "الفلاحة النبطية" لأبي بكر بن وحشية نراه يقول فيما سطره من نبات:

"والذي أذكره في هذا الكتاب من الفلاحة للشجر والنبات كُلّه هو ما كان موافقاً لإقليم بابل خاصة ولما أشبه مزاجه مزاج إقليم بابل من الأقاليم والبلدان"[2].

لقد سرى مبدأ تقسيم العالم إلى الأقاليم المذكورة في جميع أرجاء العالمين العربي والإسلامي، فابن بصّال في فلاحته يشير إلى الإقليم الرابع ويقول: "هذا الإقليم أفضل الأقاليم وأعدلها، تجود فيه جميع الشجر ويستوفي أعمارها، وكل شجرة تُرَكَّب تلتئم ولا تنفصل إذا كانت من الشجر الذي يتركب بعضه مع بعض لتناسبه"[3].

البستنة ومصادرها في الفكر العربي الإسلامي

تُمَثِّل البستنة جانباً مهماً في علم الفلاحة الذي وضع فيه العرب مؤلفات عديدة لم يصلنا بعضها. ويشتمل هذا العلم على كل ما له صلة بالحقول والبساتين على حد سواء، إلا أن المصادر المذكورة قامت بتصنيف الأشجار حسبما هو مألوف لديهم. وإذا ما أتينا إلى تعريف علم الفلاحة فقد قال فيه "محمد بن إبراهيم الأنصاري" المعروف بابن الاكفاني (ت- ٧٤٩ هـ):

"علم يُتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه إلى تمام نشوئه. وهذا التدبير هو بإصلاح الأرض بالماء وبما يخلخلها ويحميها من المعفنات كالسماد ونحوه، مع مراعاة الأهوية"[4].

ومما تحدثت عنه المصادر العربية أصول النباتات وتدجينها حينما كانت برِّية، وقد عالج "أحمد الكلداني" المُلقَّب بابن وحشية هذا الأمر قائلاً:

"إن جميع ما اتخذه الناس في بساتينهم وضياعهم من الشجر والبقول والرياحين والأزهار كلها أصلها من البراري، ومما ينبت لنفسه، والناس جلبوه من منابته واتخذوه وأفلحوه وتعاهدوه، فأفلح عندهم... فكل شيء يزرعه الناس أو يغرسونه أصله مجلوب من البر، أما بزروع أو أصول أو قضبان غُرست"[5].

أما فيما يخص تقسيم النباتات فترتئي المصادر الحديثة تقسيمه عند الدراسة بموجب ثلاثة تقسيمات:

التقسيم النباتي.

التقسيم البيئي.

التقسيم الزراعي.

وإذا ما اتينا إلى ابن وحشية نراه يقول في التقسيم:

"وقد تنقسم المنابت كلها صغارها وكبارها وبقولها وشجرها اقساماً من وجوه كثيرة أحدها من جهة الأماكن، ومعنى الأماكن هو: البرُّ والبساتين، فهذان يختلف فيهما خدر الشجر والمنابت الصغار اختلافاً قريباً غير بعيد، وتختلف في المقادير من جهة الصغَر والكِبَر، وتختلف في الطباع والفعل من جهة غلبة الحر والبرد والرطوبة واليبس مختلف أفعالها"[٦]. وقال ابن وحشية في الشجر:

"الشجر جنس لأنواع كثيرة وهو مختلف اختلافاً كثيراً في القدود والكِبَر والصغَر والطباع والقوى"[٧].

وعلى أي حال سوف نحصر ما نختاره من البستنة في أنواع معينة من أشجار الفاكهة. وقبل أن نأتي إلى نقاط أخرى أشير إلى قول "ابن سيده":

"اختلف في الفاكهة فقيل كل الثمار فاكهة، وقيل لا يسمى ما كان من الثمر والعنب والرمان فاكهة، واحتج بقوله تعالى: "فيها فاكهة ونخل ورمان" فقيل لو كان النخل والرمان نوعين من الفاكهة لما خُصا من سائر أنواعها، وليس هذا بحجة لأن العرب تفعل مثل هذا تأكيداً. وفي التنزيل "أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون"[٨].

أما المصادر العربية التي بحثت في النبات فكثيرة وقد ارتأى بعض الباحثين تقسيمها إلى أربعة اصناف:

١. الكتب التي تغلب عليها الناحية اللغوية[٩].

٢. الكتب التي تتناول وصف النباتات الطبية وخصائصها وفوائدها للمعالجات الطبية وهي كتب العقاقير والمفردات الطبية[١٠].

٣. الكتب التي تتناول النباتات من حيث زراعتها وتكثيرها[١١].

٤. ما دونه العرب في رحلاتهم عن النبات.

إلا أننا يمكن أن نضيف كتب الفهارس مثل فهرست ابن النديم[١٢] ومصباح السعادة لطاش كبرى زاده وكشف الظنون للحاج خليفة، حيث تمدنا بقائمة بأسماء الكتب التي أُلّفت في الموضوع وربما بموجز عن مؤلفيها.

ولنأخذ على سبيل المثال أحد المراجع الأدبية ونقتبس منها أسس تقسيم ماله صلة بموضوعنا عن الفاكهة في "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري نراه في القسم الثاني من الفن الرابع يتحدث عن الأشجار في ثلاثة أبواب:

الأول: فيما لثمره قشر لا يؤكل.

الثاني: فيما لثمره نوى لا يؤكل.

الثالث: فيما ليس لثمره قشر ولا نوى –وهو ثمانية أصناف.

ثم يأتي في القسم الثالث ليتحدَّث عن "الفواكه المشمومة"[١٣]. ويعني بها أنواع الأزهار.

إن تقسيم "النويري" للنبات نراه أيضاً في عبارات عامة عرضها ابن وحشية في كتابه حينما عرض إلى موضوع "ذكر الشجرة المثمرة التي يسمى الناس ثمارها فاكهة طرية ويابسة". قال:

"هذا الشجر ضروب، وحملها كهيئتها ألوان وضروب، فمنها ما له نوى كثمرة الخوخ والزيتون والنخل، وما أشبهها، ومنها ما لا نوى له مثل التين والتفاح والتوت وما أشبهها. ومنها ما له قشور قد أُلحق به مثل الرمان والجوز واللوز والموز وما أشبههما. ومنها ما لا نوى فيه ولا حب مثل الموز وحب الصنوبر وما أشبههما"[١٤].

وهكذا يمكن أن تفيدنا المراجع العربية في تَفهُّم الأساليب التي اتبعوها في تصنيف النباتات، لا سيَّما وإن المختصين في أمور النبات لم يتوصلوا إلى طريقة مثالية وموحَّدة للتصنيف، إذ لكل طريقة من يعترض عليها ونواقصها وفوائدها.

نماذج من بساتين العراق

العصر الإسلامي

نستنبط من الإشارات التي لا تُحصى إلى الحدائق والبساتين في العراق خلال العصور الإسلامية أن العراق كان على مستوى مرموق من الاهتمام بشؤونها. وتشير

الاحصائيات الواردة في كتب الخراج إلى أن ملايين الدراهم كانت تُجبى، وهي دليل التطور الزراعي ولا سيَّما خلال العصر العباسي. وربما لا نجد وصفاً أفضل مما ذكره "أبو عبد الله بن الفقيه الهمداني" في كتابه "البلدان" نبتدي به، قال:

"ومما ببغداد من سائر الفواكه والثمار وغرائب النخل والأشجار فَظُنَّ ما شئت أن تَظُنَّه وعدَّ ما شئت أن تَعدَّه تجده موجوداً غير مفقود، وقريباً غير بعيد.

زعم مهروية باغبان السلطان أنه يعرف بمدينة السلام نيفاً وسبعين نوعاً من التفاح، ثم عدها فتبسَّم أخوه شهريار، ثم قال: وكذا وكذا زيادة على ما قاله أخوه أربعمئة نوع وتسعة أنواع وما ظنك ببلد مع جميع ما فيه من غرائب الأشجار وأجناس النخيل والبقول والمزارع والثمار يُنبت الاترج والنارنج كما يُنبت الزعفران والأقحوان، وكما ينبت الفستق واللوز والزعرور والموز والشاهبلوط والجوز والسدر والحبة الخضراء والتفاح والفندق والبلوط... "[١٥].

ويقول "ابن حوقل" عن بغداد في "صورة الأرض":

"فأما الأشجار والأنهار التي في كل الجانب الشرقي ودار الخلافة، فإنها من ماء النهروان وتامرا، وليس يرفع إليها من دجلة إلا شيء يقصر عن العبارة... وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير مُتميِّز تخترقه إليه أنهار بين الفرات، فأولها مما يلي نهر صرصر، عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار صغيرة. من بغداد على ثلاثة فراسخ"[١٦].

وإذا أتينا إلى الحديث عن البساتين العراقية زمن الفتح الإسلامي والعصر العباسي خاصة، نرى أن الأمثلة كثيرة، إلا أنها قد تكون مختصرة وليس فيما يكتب عنها تفاصيل واضحة.

من البساتين المعروفة في صدر العصر العباسي بستان "أبي جعفر المنصور" بالجسر ببغداد[١٧] وبستان موسى الهادي ببغداد أيضاً، كما أنشأ الخليفة "المعتصم" البساتين في الجانب الغربي من دجلة، إضافة إلى بستان الزبيدية والناعورة زمن "المُقتَدر". كما أوقف الخليفة "المستنصر بالله" البساتين الواسعة على مدرسته ببغداد[١٨]. وعلى الرغم من الاشارات العابرة التي وردت عن بستان "المنصور" إلا أن "الطبري" يذكرها ضمن حديثه في حوادث (١٩٢ هـ) عن "هارون الرشيد" قوله: "ثم

شخص من مدينة السلام عشية الاثنين لخمسٍ خلون من شعبان بعد القصر، من الخيزرانية، نبات في بستان أبي جعفر..."[١٩]. وتحدّث أيضاً عن بستان آخر ضمن حوادث (١٥٨ هـ) قال:

"والقاسم، مات قبل المنصور، وهو ابن عشرين سنة، وأمه أم ولد تُعرف بأم القاسم، ولها بباب الشام بستان يُعرف إلى اليوم ببستان أم القاسم"[٢٠]. وضمن حوادث (١٨٨ هـ) ذكر بستان مؤنسة ببغداد[٢١]. وأشار إلى بستان آخر قوله بأن المأمون "لم يزل مقيماً ببغداد في الرصافة حتى بنى منازل على شط دجلة عند قصره الأول، وفي بستان موسى". وضمن حوادث (١٩٨ هـ) قال: "وذكر عن محمد بن اسماعيل، عن حفص بن ارميائيل، أن محمداً لما أراد أن يعبر من الدار بالفرار إلى منزل كان في بستان موسى، وكان له جسر في ذلك الموضع، أمر أن يُفرش في ذلك المجلس ويطيب"[٢٢].

ولنأخذ بعض الأمثلة الأخرى على بساتين بغداد[٢٣] فقد أشارت المصادر إلى أن الخليفة القاهر (٣٢٠-٣٢٢ هـ) كانت "لذته في الدنيا بستانه الكبير ببغداد، الذي غُرس فيه النارنج، وحُمل إليه من البصرة وعُمان فنون منه[٢٤]، قد أشكبت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم، وعُرف ببستان النارنج، وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر. وقد جعل في صحن القصر أنواع الأطيار، مما جُلب إليه من الممالك والأمصار. فكان في ذلك في غاية الحسن"[٢٥] وتشير المصادر إلى بستان محيط بجوسق قصر الخليفة "المقتدر بالله"، ببغداد نحو أربعمئة نخلة، طول كل واحدة خمسة أذرع، قد ألبس جميعها ساجاً منقوشاً، من أصلها إلى حد الجمارة، بحلق من شَبَه مُذهَّبة[٢٦]. وتحدَّث "ياقوت الحموي" عن "دار الشجرة" للمقتدر ببغداد وقال بأنها "فسيحة ذات بساتين مؤنقة"[٢٧]. وقيل أن الوزير "حامد بن العباس" أهدى إلى "المقتدر" في سنة (٣٠٩ هـ) "البستان المعروف بالناعورة، بناه له، وانفق على بنائه مئة الف دينار، علق على المجالس التي فيه الستائر وفرشه باللبود الخرسانية، ثم اهداه"[٢٨]. وجاء في نص "ابن عقيل" على باب الطاق ببغداد قوله: "أما شوارعها: فشارع مما يلي دجلة، من أحد جانبيه قصور على دجلة، طراز ممتد من عند الجسر إلى أوائل الزاهر وهو بستان نحو مائتي جريب، ونظير هذا من الجانب الغربي الكرخ وشاطئه: قصور منتظمة ذوات دواليب وبساتين"[٢٩].

وجاء في خطط بغداد: "حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي: ثم فَكَّر (أي عضد الدولة) في أن يجعل شُرب البستان من دواليب ينصبها على دجلة، وعلم أن الدواليب لا تكفي، فأخرج المهندسين إلى الأنهار التي في ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام، ليستخرجوا منها نهراً يسيح ماؤه إلى داره، فلم يجدوا ما أرادوه إلا في نهر الخالص فعلى الأرض بين البلد وبينه تعلية أمكن معها أن يجري الماء على قدر من غير أن يحدث به ضرر. وعمل تلَّين محيطين يساويان سطح ماء الخالص، ويرتفعان من أرض الصحراء أذرعاً، وشَقَّ في وسطها نهراً جعل له خورين من جانبيه. وداس الجميع بالفيلة دوساً كثيراً، حتى قوي واشتد وصلُب وتَلبَّد، فلما بلغ إلى منازل البلد، وأراد سوق النهر إلى داره، عمد إلى درب السلسلة فدك أرضه دكاً قوياً، ورفع أبواب الدور وأرتقها وبنى جوانب النهر".

قال أبي (أي والد القاضي التنوخي):

"وبلغت النفقة على عمل البستان وسوق الماء إليه على ما سمعته من حواشي عضد الدولة خمسة آلاف درهم، ولعله قد أنفق على أبنية الدار على ما أظن مثل ذلك"[٣٠].

وكان "عضد الدولة" عازماً على أن يهدم الدور التي بين داره وبين الزاهر، ويصل الدار بالزاهر فمات قبل ذلك[٣١]، وقد سبقت الإشارة إليه.

لم يكن أمر البساتين يقتصر على بغداد نفسها بل المناطق المحيطة بها وأماكن أخرى في القطر. يقول "ابن حوقل" في النهروان[٣٣]: "والنهروان مدينة يشقها نهر النهروان بنصفين في وسطها، وهي صغيرة عامرة، من بغداد على أربعة فراسخ، كثيرة الغِلاّت والخيرات والنخيل والكروم والسمسم خاصة ونهرها يفضي إلى سواد بغداد أسفل من دار السلطان إلى الإسكان وغيرها من المدن والقرى، فإذا جزرت النهروان إلى الدسكرة إلى حد حلوان خفت المياه والنخيل، وإن كانت من الدسكرة إلى حلوان فالبادية منقطعة العمارة منفردة المنازل والقرى حتى تفضي إلى نهر تامرا وحدود شهرزور إلى تكريب"[٣٤] وعلى بلد - إلى الشمال من بغداد- قال: "وكان لبلد في ظاهرها بين غربها وشمالها مكان يُعرف بالاوسل: متنزه كثير الشجر والثمر والخضر والفواكه والكروم"[٣٥]. وقال "الحميري" في "الروض المعطار" عن الأنبار: "بينها وبين بغداد ثلاثة عشر فرسخاً، وهي مدينة صغيرة مُتحضِّرة لها سوق وقلعة وفواكه كثيرة، وهي على

رأس نهر عيسى"[٣٦]. أما سامراء فقد كانت عاصمة العالم الإسلامي بعد بغداد، وقد كانت محل أقلام كثيرة ووصف مسهب. قال "الحميري":

"وصل النخيل من بغداد والبصرة وسائر النواحي، وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان وكَثُرَت المياه في هذه العمارات في الجانب الشرقي بسر من رأى، وصلح النخل ونبتت الأشجار وزكت الثمار وحَسُن الريحان والبقل، وزع الناس أصناف البقل والزروع والرياحين فزكا كل ما زرع فيها وغرس لحمام الأرض، حتى بلغ مستغل العمارة بالنهر الاسحاقي والعمري والعربات المحدثة وخراج الجنات والبساتين مئة ألف دينار في السنة، واقدم المعتصم في كل بلد من يعمل عملا ومن مهن العمارة والزرع والنخيل والغروس وهندسة الماء ووزنه واستنباطه"[٣٧]. ومثل هذا قاله "اليعقوبي" في "البلدان": "لما فرغ من الخطط (أي المعتصم) ووضع الأساس للبناء في الجانب الشرقي من دجلة، وهو جانب سر من رأى، عقد جسراً إلى الجانب الغربي من دجلة، فأنشأ هناك العمارات والبساتين والأجنة، حفر الأنهار من دجلة وصيّر إلى كل قائد عمارة ناحية من النواحي وحمل النخل من بغداد والبصرة وسائر السواد، وحملت الغروس من الجزيرة والشام والجبل والري وخراسان وسائر البلدان، فكثرت المياه في هذه العمارة في الجانب الشرقي بسر من رأى، وصلح النخل وثبتت الأشجار"[٣٨]. في حين قال "المقدسي": "وفي وجه سامراء مدينة عُكبرا وهي كبيرة عامرة كثيرة الفواكه جيدة الأعناب"[٣٩].

أما الأنبار فهي "بلد السفاح، وكانت داره التي يسكنها عامرة آهلة كثيرة النخيل والزروع الجيدة والأسواق الحسنة على شرقي الفرات"[٤٠]. أما "عانة"، حسب "ابن حوقل"، فهي "مدينة صغيرة في وسط الفرات... تلتف مشاجرها بالنخيل والكروم"[٤١]. أما حلوان فهي "مدينة ليس بالعراق بعد البصرة والكوفة وواسط أعمر منها ولا أكثر خصباً. وجَل ثمارها التين... وبالدسكرة نخيل وزروع كثيرة"[٤٢] ومما قاله "ابن بطوطة" (٧٠٤- ٧٧٩ هـ) في رحلته: "والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي منها، وهو منتظم بحدائق النخل الملتفَّة، المتَّصل بعضها ببعض... ثم وصلنا ونزلنا بئر ملاحة، وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل... ووصلنا منها الصبح فنزلنا مدينة الحِلَّة... وحدائق النخل منتظمة بها داخلاً وخارجاً، ودورها بين

الحدائق"[٤٣]. وتحدّث عن كربلاء فقال: "وهي مدينة صغيرة تحفُّها حدائق النخل ويسقيها ماء الفرات"[٤٤]. في حين تحدث عن سنجار قائلاً: "ثم رحلنا إلى مدينة سنجار، وهي مدينة كبيرة كثيرة الفواكه والأشجار والعيون المطّردة والأنهار، مبنية في سفح جبل، تشبه بدمشق في كثير أنهارها وبساتينها"[٤٥]. أما "ابن حوقل" فقال فيها: "وبها مع رخص أسعارها وكثرة خيرها وفواكهها الصيفية فواكه شتوية مما يكون اختصاصه في بلاد العرود كالسماق والجوز واللوز والزيتون والاترج والسمسم والرمان الكبير المجفف حبه الدائم ..."[٤٦]. وعندما تحدث عن الموصل قال: "... ولم يكُ بها كثير شجر ولا بساتين إلا التافه القليل اليسير، فلما تملك بنو حمدان ورجالهم غرسوا فيها الأشجار وكثرت الكروم وغزرت الفواكه وغرست النخيل والخضر"[٤٧].

وإذا ما أتينا إلى البصرة فما فيها من بساتين يجعل منها منهلاً دائماً للحديث عنها فنظام الري فيها فريد من نوعه نسبة إلى مدن العراق الأخرى لأن" الجزر والمدّ أعجوبة على أهل البصرة ونعمة، يزودهم الماء في كل يوم وليلة مرتين ويدخل الأنهار ويسقي البساتين ويحمل السفن إلى القرى. فإذا جزر عمل الارحية لأنها على أفواه الأنهار، فإذا خرج الماء أدارها وبلغ المدى إلى حدود البطائح وله وقت يدور مع دور الأهلة"[٤٨]. أما الحميري فقال:

" وبالبصرة نهر يُعرف بنهر الابُلَّة طوله اثنا عشر ميلاً وهو مسافة ما بين البصرة والأبلّة، وعلى جانبي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد، ويحويها خيط واحد... ونصب إلى هذا النهر عدة أنهار مما يقاربه أو يماثله في الكبر، وجمع نخيلها في اعتدال قدودة ونقاوة فروعه كأنها أفرغت في قالب واحد، وغرست سائره في يوم واحد، وجميع أنهار البصرة المحيطة بشرقيها يصب بعضها في بعض، ويتشعب بعضها في بعض وأكثرها يدخله المدّ والجزر من البحر فإذا دخل المدّ تراجعت مياه الأنهار فصبت في البساتين والمزارع وسقتها وإذا كان الجزر عادت الأنهار جارية على حسب عادتها"[٤٩]. و"لابن حوقل" وصف جميل فيها، قال:

" ومن مشاهير أنهارها نهر الأبلّة وطوله أربعة فراسخ وما بين البصرة والأبلّة، وعلى جانبي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مدت على خيط، ورصفت بالمجالس الحسنة والمناظر الأنيقة والأبنية الفاخرة والعروش العجيبة والأشجار

المثمرة والفواكه اللذيذة، والرياحين الغضة المركب منها مثل الحيوان والبرك الفسيحة المرصوفة، وكأن نخيلها غرست ليوم واحد، وهذه الأنهار الكبار كلها متخرِّقة بعضها إلى بعض، وكذلك عامة أنهار البصرة حتى إذا جاءهم مدَّ البحر تراجع الماء في كل نهر حتى يدخل نخيلهم وحيطانهم وجميع أنهارهم من غير تكلف، وإذا جزر الماء عنها وانحط خلت منه البساتين والنخيل وبقيت أكثر الأنهار خالية فارغة. ويغلب إلى مياههم الملوحة وأكثر ما يستسقون الماء لشربهم إذا جزر الماء من آخر نهر معقل، لأنه يعذب هناك فلا يضرّه ماء البحر"[٥٠].

الهوامش

١. البغدادي، الحافظ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ص/٢٢-٢٣.

٢. ابن وحشية، ابو بكر، الفلاحة النبطية، فرانكفورت، (معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية) ١٩٨٤، ج/١، ص/٢٦.

٣. ابن بَصَّال الطليطلي: كتاب الفلاحة، (دراسة: خوسي مارية ومحمد عزيمان)، معهد مولاي الحسن، تطوان ١٩٥٥، ص/٩٢.

٤. كوركيس عواد، "الزراعة والنبات عند العرب" مجلة الزراعة العراقية، بغداد، ١٩٥٢، م/٧، ج/٢، ص/١٢٤.

٥. ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ١٩٨٤، ص/٧.

٦. المصدر السابق، ج/٦، ص/٤.

٧. المصدر السابق، ج/٦، ص/٢.

٨. ابن سيده، المخصص، دار الفكر، السفر/١١، ص/٦٤.

٩. كوركيس عواد، ذات المصدر السابق، ص/١٢٥

ومثل هذا الصنف من الكتب، مثل كتاب النظر بن سميل، الذي نشأ وتوفي بالبصرة.

١٠. حول كتب الادوية، يراجع، كوركيس عواد، المصدر السابق، ص/١٣٠-١٣٤.

١١. حول الصنف الثالث، مثل كتاب المعتمد (الفلاحة النبطية) وكتاب الفلاحة الرومية لقسطوس، الفلاحة الأندلسية لابن العوام، كتاب الفلاحة لابن بصال، كتاب أبي عمر الحجاج الاشبيل وهو المقنع في الفلاحة، مفتاح الراحة لعلم الفلاحة لمؤلف مجهول، كتاب جامع فوائد الملاحة في جامع فوائد الفلاحة لرضي الدين القريشي،

علم الملاحة في علم الفلاحة لعبد الغني النابلسي (ت/١١٤٣ هـ) وغير ذلك، ولزيادة المعلومات، كوركيس عواد، المصدر السابق، ص/١٣٥-١٣٧.

١٢. ذكر "ابن النديم" في الفهرست عدداً كبيراً من كتب النبات والفلاحة، وحسب النسخة المحققة لرضا تجدد، النبات والشجر، للأصمعي (ص/٦٠-٦١)، النخلة للأصمعي (ص/٦١-٦٤-٧٥) كتاب النبات لأبي سعيد الحسن السكري، (ص/٨٦) كتاب النبت والبقل لابن الاعرابي (ت-٢٣١ هـ) ص/٧٦، كتاب الشجر والنبات لأحمد بن حاتم (ت-٢٣١هـ) ص/٦١- ٢١٠، المزارعة الصغير والمزارعة الكبير لأبي عبد الله محمد بن الحسن (ت- ٢٧٠ هـ)، الأشجار والنبات لأبي القاسم البشير ص/١٥٤، كتاب الأشجار لجابر بن حيان الكوفي، وغير ذلك من الكتب.

١٣. النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الادب، تصحيح أحمد الزين، سلسلة تراثنا، القاهرة، السفر/١١، ص/٨٦-١٨٤.

١٤. ابن وحشية، ج/٦، ص/٥٧.

١٥. ابن الفقيه الهمذاني، أبو عبد الله أحمد، البلدان، فرانكفورت، ١٩٨٧، ص/٩٤.

١٦. ابن حوقل، أبو القاسم، صورة الأرض، بيروت، ص/٢١٧.

١٧. كوركيس عواد، بساتين الملوك والخلفاء في العصر الإسلامي، مجلة الزراعة العراقية، بغداد ١٩٥٣، ج/٧، ص/٣٣١.

١٨. كوركيس عواد، المصدر السابق، ص/٣٣٤-٣٣٥.

١٩. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف (ذخائر العرب/٣٠)ج/٨، ص/٣٣٨.

٢٠. الطبري، ج/٨، ص/١٠٢.

٢١. الطبري، ج/٨، ص/٤٨٨.

٢٢. الطبري، ج/٨، ص/٤٨٠.

٢٣. ذكر الطبري أسماء بساتين أخرى لا نعرف غير أسماؤها مثل: بستان مؤنسة، ج/٨، ص/٤٨٨، وبستان ابن عامر، ج/٨، ص/٦٠، الذي يشير إلى أن أبا جعفر نزل فيه، ويراجع ص/١٩٩، ذات المصدر.

٢٤. عواد، ميخائيل، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، سلسلة دراسات /٢٧٩، وزارة الثقافة والإعلام، بيروت، ١٩٨١، ص/٩٥.

٢٥. يوجد اختلاف في النص بين ما ذكر في المصدر السابق ص/٩٥، وبين نص كوركيس عواد ص/٣٣١-٣٣٢/ الذي اعتمد عليه نقلاً عن المسعودي مروج الذهب، ج/٨، ص/٣٣٦، علماً بأن نص الأخير مطابق، ويبدو أن الباحث عواد قد اعتمد مصدراً آخر.

٢٦. كوركيس عواد، بساتين الملوك، ٣٣٤.

يراجع أيضاً، ميخائيل عواد، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ص/٩٥.

٢٧. كوركيس عواد، بساتين الملوك، ص/٣٣٣.

٢٨. المصدر السابق، ص/٣٣٤.

٢٩. مقدسي، جورج، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ترجمة د. صالح العلي، مطبعة المجمع العلمي، ١٩٨٤، ص/٢١-٢٢.

٣٠. البغدادي، خطط بغداد ج/١، ص/١٠٦-١٠٧.

٣١. ليسنر، يعقوب، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة د. صالح العلي، مطبعة المجمع العلمي، ١٩٨٤، ص/١١٠.

٣٢. مقدسي، خطط بغداد، ص/٢٣.

٣٣. والنهروان كلمة سومرية من الأصل، ناران ثم حُوِّرت.

٣٤. ابن حوقل، ص/٢١٨.

٣٥. ابن حوقل، ١٩٩.

٣٦. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥، ص/٣٦.

٣٧. المصدر السابق، ص/٣٠١.

٣٩. المقدسي، البشاري، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص/١٣٢.

٤٠. المقدسي، المصدر السابق، ٢٠٥.

٤١. ابن حوقل، ص/٢٠٦.

٤٢. ابن حوقل، ص/٢٢٠.

٤٣. رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت ١٩٦٤، ص/ ٢٢٠.

٤٤. ابن بطوطة، ص/٢٢١.

٤٥. ابن بطوطة، ص/٢٣٧.

٤٦. ابن حوقل، ص/١٩٩.

٤٧. ابن حوقل، ص/١٩٤.

٤٨. المقدسي، ص/١٢٤-١٢٥.

٤٩. الحميري، الروض المعطار، ١٠٥.

٥٠. ابن حوقل، ص/٢١٢-٢١٣.